﴿..قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ..﴾

لا يَزالُ المُؤْمِنُ في الصّلاة، ما دام ذاكراً

إعداد: «شعائر»

خمسُ آيات من سورة آل عمران، أسهبَ الفقهاءُ والمُفسّرون في الحديث عنها، وتبيان معانيها، حيث كانت أوّلَ كلامٍ يَقولُه رسول الله ﷺ عند استيقاظه، وقد توعّد صلّى الله عليه وآله المُتغافل عنها بـ «الوَيل».
النّصّ الآتي مقتبس عن (تفسير البرهان) للمحدّث السّيّد هاشم البَحراني رضوان الله تعالى عليه.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ آل عمران: ١٩٠-١٩٤.

***

* عن النّبيّ ﷺ، لمّا نزلت هذه الآيات الخمس من (آل عمران)، أنّه قال: «وَيْلٌ لِمَنْ لَاكَهَا بينَ فَكَّيْهِ، وَلَمْ يَتَأَمّلْ مَا فِيهَا».

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ رسول الله، ﷺ، كان «..إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ اسْتَاكَ [أي يستعمل السّواك]، ثُمَّ يَنْظُرُ إلى السَّماءِ، ثُمَّ يَقولُ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾».

* وكان، صلّى الله عليه وآله، إذا جلسَ من نومه، كما في الرّواية عن الإمام الصّادق عليه السلام: «..قَلَّبَ بَصَرَهُ في السَّماءِ، وَتَلا الآياتِ مِنْ آلِ عِمْرانَ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾..».

* ووَرَدَ عن الأئمّة من آل محمّدٍ ﷺ، الأمرُ بقراءة هذه الآيات الخمس، وقتَ القيام باللّيل للصّلاة، وفي الضَّجْعةِ بعد ركعتَي الفجر [نافلة الصبح]. ففي (تذكرة الفقهاء) للعلّامة الحلّيّ: «..عن الصّادق عليه السلام: (وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَضْطَجِعَ بَعْدَ رَكْعَتَيِ الفَجْرِ عَلى جانِبِهِ الأَيْمَنِ، وَيَقْرَأَ خَمْسَ آياتٍ مِنْ آخِرِ آلِ عِمْرانَ) ... لقول رسول الله ﷺ: (إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ).

ومن طريق الخاصّة قولُ الصّادق عليه السلام، وقد سأله سليمان بن خالد عمّا يقولُ إذا اضطجعَ بعد ركعتَي الفجر؟ [قال عليه السّلام]: (إقْرَأْ الخَمْسَ آيات الّتي في آخِرِ آلِ عِمْرانَ..)».

* وفي شأن الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا..﴾، رُوي عن رسول الله ﷺ، قولُه: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيةَ، ثُمَّ مَسَحَ بِها سِبلَتَه»، [السَّبَلَةُ عند العرب مُقَدَّم اللّحية وما أَسْبَل منها على الصّدر]، أي تجاوز عنها من غير فكر، كما ذمّ النّبيّ ﷺ المُعرِضين عنها.

* وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَلا وَإنّي مَخْصوصٌ في القُرْآنِ بِأَسْماءٍ، احْذَروا أَنْ تُغْلَبوا عَلَيْها، فَتُضِلُّوا في دينِكُمْ..»، إلى قوله سلام الله عليه: «.. وَأَنا الذّاكِرُ، يَقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ..﴾..»، وفي التّفاسير أنّ هذه الآيات نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام إبّان هجرته من مكّة إلى المدينة، ومعه الفواطم، حيث كانوا إذا توقّفوا عن المسير، أمضوا ساعاتِهم بالعبادة والصّلاة والذّكر والتّهجّد، فنزلَ الوحيُ على رسول الله ﷺ بذلك، قبل قدومهم عليه.

* وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يَزالُ المُؤْمِنُ في صَلاة، مَا كانَ في ذِكْرِ اللهِ، قائِماً كانَ أَوْ جالِساً أَوْ مُضْطَجِعاً، إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ ...﴾ الآية».

* وعنه عليه السّلام في الحُكم الفِقْهيّ المُستخرَج من الآية: «الصَّحِيحُ يُصَلِّي قَائِماً، وقُعُوداً. [و] الْمَرِيضُ يُصَلِّي جَالِساً. ﴿..وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ..﴾: الَّذِي يَكُونُ أَضْعَفَ مِنَ المَرِيضِ الَّذِي يُصَلِّي جَالِساً».